الافتتاحية

كتاب
قاموس البدع

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

هذا الكتاب الذي نحن بصدد التعريف به في هذه السطور يحمل اسم: "قاموس البدع: مستخرج من كتب الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى". هذا الاسم يعطي فكرة واضحة عن مضمون الكتاب ومحتواه. وهو من عمل كل من فضيلة الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان وفضيلة الشيخ أبي عبد الله أحمد بن إسماعيل الشكوكاني، ويقع في (٨٣٨) صفحة من القطع المتوسط، وقد صدرت له أكثر من طبعة منذ عدة سنوات.

وقد بذل الباحثان – جزاهما الله خيرا – جهودا مشكورة في جمع مادة هذا الكتاب من مؤلفات العلامة المحدث الألباني رحمه الله وترتيبها ترتيبا مناسبا يسهل على القراء الرجوع إليها والاستفادة منها. إن الباحثين خدما – بهذا العمل الجليل – العلم والدعوة والأمة والمحدث الألباني في آن واحد: خدما العلم والمعرفة بهذا العمل بإضافة كتاب شبه موسوعي في المكتبة الإسلامية يغطي موضوعا علميا طريفا. وخدما الدعوة الإسلامية بتناولهما هذا الموضوع "موضوع البدع" الذي يعاني منه المجتمع الإسلامي في شتى أنحاء العالم، ويلفت انتباه المصلحين والدعاة إلى الله تعالى. وخدما الأمة بتقديم مادة علمية موثوقة إليها تستنير بها في سبيل العودة إلى منهل الإسلام الصافي المتمثل في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وخدما المحدث الألباني رحمه الله ببث علمه وتقريب دعوته إلى القراء والمستفيدين، وفيه تقدير لجهوده واعتراف بخدماته للدين والعلم والعقيدة.

ولا يخفى على المهتمين بأمور المسلمين قضية تغلغل البدع والخرافات في المجتمعات الإسلامية، في العقائد والعبادات والمعاملات والعادات وفي المجالات الأخرى. فالمرء المسلم الغيور على دينه وعقيدته، لا تعميه مصالح الانتماء العقدي أو الفكري عن إبداء مشاعر القلق والإنكار على الواقع الأليم الذي يتخبط فيه كثير من المسلمين ومجتمعاتهم ومناطقهم. إن الأمة البالغ عدد أفرادها مليار ونصف مليار، تشغلها – إلا من رحم الله من أفرادها – أنواع البدع وأصناف الخرافات، وهي تعمل بأعمال وتتشغل في عادات وتقاليد كأنها من صميم دينها وعقيدتها، مع أنها ما أنزل الله بها من سلطان، بل طبيعة الدين ترفضها بتاتا، وتعتبرها مصادمة لأهدافها ومقاصدها. {قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا}.

يجدر بالذكر أن العبادات من الفرائض والنوافل الثابتة بالأدلة الصحيحة، وكذا العقائد والأعمال المختلفة التي يحث عليها الشرع الحنيف، تجدها في غربة وخارجة عن دائرة اهتمام كثير منهم. وهكذا البدع تعمل عملها، حيث إن الإنسان إذا أحبها واعتنقها هجر في مقابلها سنة ثابتة وعملا مشروعا. والجزاء من جنس العمل.

وفي هذا الوضع المقلق والواقع المحرج من تفشي البدع والمنكرات على هذا النحو تجد الكثيرين من الأئمة والدعاة والمصلحين يغضون الطرف عنها، ويعرضون عن الكلام حولها، بل ويتبرمون من التعرض لها، وينكرون على الذين ينكرون عليها، ويعدون الإنكار عليها مما يفرق جمع الأمة ويشتت شملها، ويقضي على وحدتها. وقد يقومون بالتدليل عليها والدفاع عنها. وبتعبير الشيخ أبي عبيدة حسن "... تلك (البدع) الشائعة الذائعة، التي لها (حراس) يحمونها، و (أشخاص) يذبون عنها، و (دعاة) يقدسونها: ممن انحرفت أصولهم، وزاغت قلوبهم".

إن الهادي البشير النذير – صلوات الله وسلامه عليه – حرص على حماية جناب التوحيد ووقايته من كل ما يكدر صفوه ويشوه وجهه. وما من خير إلا دل عليه، وما من شر إلا حذر منه. وأكد على الأمة التمسك بالسنة والشريعة والصراط المستقيم

والطريق السوي. واعتبر أي خروج عن ذلك عملا مردودا وسبيلا من سبل الشياطين، وطريقا موصلا إلى نار جهنم.

أخرج البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

"كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، فقلت: وما دخنه؟ قال:

"قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر". فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا...".

وكان صلى الله عليه وسلم يردد في خطبه قوله: "... شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار".

وكان يقول: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". (متفق عليه)

ويقول: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد". (صحيح مسلم)

ويقول: "تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنتي". (الصحيحة)

إلى غير ذلك من أقواله وتعليماته الكثيرة، ولسنا بصدد إحصائها.

فجزى الله أئمة الهدى وعلماء الحق الذين جاهدوا واجتهدوا – ولا يزالون – وواصلوا جهودهم لتبقى كلمة الحق عالية، وترفرف راية السنة خفاقة، لا يخافون في سبيل ذلك لومة لائم. ومنهم شيخنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله الذي قضى حياة حافلة بالبذل والعطاء، وضرب أروع مثال لخدمة السنة المطهرة والدفاع عن الدين والشريعة. وأعماله الجليلة وخدماته الكبيرة أكثر وأشهر من أن نتطرق إليها في هذه العجالة. وقد ساهمت في إحداث تغيير ملموس في ميادين العلم والعمل والدعوة والإرشاد والبحث والتحقيق. تقبل الله مساعيه، وجعلها صدقة جارية عليه.

كان رحمه الله يمتلئ غيرة على الحق والشريعة والسنة، ويتألم بالواقع المزري الذي آل إليه أمر الأمة، ولم تكن هذه الغيرة عاطفة أو حماسا موقتا باعثا على الياس والقنوط والاستسلام، بل كان رحمه الله على إيمان ويقين بأن لكل داء دواء، وأن أسباب هذا الانحطاط والتسفل واضحة معروفة، يجب السعي للقضاء عليها، وإبدالها بأسباب الرقي والعزة والكرامة. نذر – رحمه الله – حياته لهذا الهدف السامي، واستعمل مختلف الطرق والوسائل والأساليب لتحقيق هذا الهدف من تدريس ودعوة، وتعليم وتربية، وبحث وتحقيق، وتصنيف وتأليف ... الخ. إنه عكف على نصر دين الله وسنة رسوله، فنصره الله ووضع له القبول في الأرض، وتلألأ اسمه نجما ساطعا في سماء العلم والدعوة، رحمه الله رحمة واسعة.

ثم إن الأعمال العلمية التي قام بها هو وأمثاله من الأعلام المحققين تحتوي على كنوز وذخائر متنوعة، ينبغي لطلبة العلم والباحثين البحث والتنقيب عنها وجمعها وإفرادها تحت موضوعات خاصة، وعرضها على أفراد الأمة وطلابها وقراءها ليعم نفعها وتكثر الاستفادة منها، لأن هؤلاء العلماء الموهوبين، بعلمهم الغزير، ونظرهم الثاقب، وخبرتهم الواسعة، ونيتهم الصادقة، يلفظون الدرر، وينفثون السحر، ويعالجون الأمور ببصيرة نافذة، فينفع الله بهم وبإنجازاتهم خلقا كثيرا. إن مؤلفا واحدا من مؤلفات هؤلاء بينما يشتمل في ظاهره على موضوع واحد، ويعالج قضية واحدة، إذا هو يحتوي على عشرات الموضوعات والقضايا في نظر الباحثين وذوي النظرات الثاقبة، فيقومون باستخراجها وإفرادها في مؤلفات مستقلة. فمثله كمثل المنفق في سبيل الله، الذي قال الله عز وجل فيه:

{مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم}.

هذا بذل وإنفاق للمال، وذلك بذل للعلم ونشر للمعرفة. وكلاهما مطلب ديني، وكلاهما مغبوط عليه حسب التوجيه النبوي.

إن الباحثين الفاضلَين اللذين أنجزا هذا المشروع الضخم يستحقان كل الشكر والتقدير والدعاء من جميع محبي العلم والدعوة والإصلاح، لا شك أنهما قد بذلا من الوقت والجهد ما لا نقدره ولا نتصوره. فقد عملا على تقليب صفحات جميع كتب الشيخ المنشورة، البالغ عددها نحو (١٢٠) مؤلفا، ما بين تصنيف وتحقيق ومراجعة واختصار وتعليق وتخريج وما إلى ذلك، إلى جانب مقالاته وبحوثه المنشورة في المجلات والجرائد، وكذلك ما صدر – بمراجعة الشيخ – من محاضرات على هيئة كتيبات. يقول الشيخ مشهور:

"وقد اعتمدنا في جمع مادة كتابنا هذا على قراءة هذه المؤلفات جميعا، وذلك باستخراج ما يخص (البدع) منها، وتوزيعها على موضوعاتها واختيار أظهر وأوضح عبارات منها في بيان البدعة. ولم ننس أن نذكر من أين جاء القول ببدعيتها، ومن نصص عليه العلماء فيما نقل الشيخ، وجمع كلام الشيخ على البدعة الواحدة من جميع كتبه في موطن واحد.

واعتنيت بما نقله الشيخ من المصادر، ووثقت منها أحيانا، إن دعت الحاجة إلى ذلك، وربما زدت عليها، وعلّقت على ما رأيته لازما أو نافعا، وذكرت ما علمته من تراجع الشيخ عن بعض ما أورده هنا، أو تفصيل له في أمر مجمل، أو بدعة ذكرها في كتاب من كتبه، وفاته ذكرها في تأليف مفرد في الموضوع الخاص بها. وابتعدت عن التكرار قدر الاستطاعة". (ص: ٢٣)

وهذا يدل على أن هذا العمل ليس منحصرا في جمع وترتيب فقط كما يظن، بل يتعدى ذلك إلى ما ذكره الشيخ مشهور من الأعمال الإضافية التي تتطلب أوقاتا طويلة وجهودا مضنية تتقطع في حلبتها أنفاس الباحثين الكبار فضلا عن عامة الطلبة والدارسين والكاتبين.

يضاف إلى هذه وتلك ذلك المبحث النافع تحت عنوان "مدخل البحث" الذي جمع فيه الباحثان المعلومات المتعلقة بالبدعة والقواعد والضوابط المتعلقة بها في نحو (٣٥) صفحة، يردفه فصل عن البدعة الحسنة، ثم فصل عن العمل بالحديث الضعيف في

فضائل الأعمال، بعده فصل بعنوان: قواعد في الذكر، يعقبه فصل حول شرح أحاديث وآثار تتعلق بالبدع ومحدثات الأمور. وكل هذه المعلومات مستقاة من كتابات الشيخ الألباني رحمه الله.

أما البدع التي يتناولها هذا الكتاب بعد المباحث المذكورة فهي كالآتي:

بدع العقائد، بدع الفرق والطوائف، بدع التوسل، بدع الطهارة، بدع الفطرة، بدع الأذان، بدع الصلاة، بدع المساجد، بدع الجمعة، بدع الجنائز، بدع الحج والعمرة، بدع الصيام، بدع البيوع، بدع التفسير، بدع الأذكار، بدع العادات، بدع الشهور والأيام والليالي، الغناء الصوفي والأناشيد الإسلامية، بدع المؤلفين والمؤلفات، من بدع العصر، من ظن السنة بدعة والرد عليه، ثم الخاتمة والفهارس.

ولابد أن نذكر هنا أن إعداد "قاموس البدع" كان من المشاريع العلمية التي كان الشيخ الألباني رحمه الله ينوي إنجازها وإكمالها، بل إنه كان قد بدأ بالعمل به أيضا، ولكنه لم يتمكن لمواصلة هذا العمل حتى وافاه الأجل المحتوم. يقول الشيخ مشهور:

"ومن المؤلفات التي تركها – وبقيت منها بقية في ورقات قليلة جدا – "قاموس البدع"! وكان الشيخ رحمه الله يود لو أنه مُدّ في عمره لإنجاز هذا المشروع الجليل".

"..... وكنت وإخواني من تلاميذ الشيخ ومحبيه ننتظر تلك الساعة التي يتفرغ فيها الشيخ لهذا المشروع العظيم، ولكن وقع قدر الله تعالى، فحصلت الوفاة، ولم يتمه". (ص: ١٢)

نعم! قد وفق الله لإتمام هذا المشروع صاحب الأسطر المذكورة وصاحبه من تلاميذ الشيخ ومحبيه، فهما قاما بتحقيق أمل الشيخ خير قيام، وبذلا ما في وسعهما لسد هذا الفراغ. ونحن إذ نقدم لهما شكرنا وتقديرنا ودعوتنا ندعو الله جلت قدرته أن ينفع الأمة الإسلامية بهذا السفر الجليل، ويجعله صدقة جارية للشيخ رحمه الله، ويجزي عنا وعن العلم والدعوة الشيخين الفاضلين خيرا كثيرا على هذا الجهد العظيم والعمل الهادف. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❖❖❖